

إمه عجم ربه و «عقد»

درس ادبي تاريخي

بقلم جيراثيل جبور

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت

الاميركية

١

مصادر الدرس

ايدنا مصادر ثلاثة نستقي منها اخبار ابن عبد ربه اولها عقده في
الاخبار الكتاب الشهير الآن «بالقد الفريد» ، وثانيها شعره المنتثر
في بعض الكتب وبالاخص في كتاب «يقيمة الدهر» للشامي
وفي العقد نفسه ، وثالثها ما كتبه المؤرخون والادباء عنه .

ولنبداً بالاخيرة فنذكرها على انواعها ونجتهد في تصنيفها حسب اصلها وقدميتها
وقيمتها ليتضح ما يجوز التمريل عليه من اخبارها وما لا يجوز ، وترتبط بتفضيل
مصدر على مصدر مسألة ذات شأن وهي : من من هؤلاء المؤرخين او الادباء .
قد اعتمد على غيره ؟ ومن منهم سبق غيره ؟ ومن منهم نستطيع ان نسقطه من
قائمنا ادرس حياة ابن عبد ربه حيث انه لم يزد على من سبقه شيئاً ؟ ولم كنا
نود لو كانت لدينا دراسات علمية في رجال الادب والتاريخ العربي من حيث
البحث عن المورثات المختلفة التي قد يمكن ان تكون اثرت على بعضهم ، او
من حيث درس تراثهم الخاصة من شخصية وغيرها ، والظروف التي احاطت
بهم عند تدوينهم الاختبار ، او انتمائهم الى بعض الاحزاب او تعصبهم لبعض
الاشخاص الخ . وعسى ان لا يفوتنا تدوين ملاحظتنا على بعضهم في حيننا .
وستضرب صفحاً عن كل المصادر الحديثة اذ لم نرَ مصدراً منها يتند الى غير

الاصول التي بين ايدينا. فلا نعرض لها الا لمناسبات خاصة.

اما اقدمها واقربها عهداً باين عبد ربه فكتاب «تاريخ علماء الاندلس» لابن الفرضي ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي الحافظ المتوفى في ٦ شوال سنة ٤٠٣ هـ (٢٠ نيسان سنة ١٠١٣ م)^(١) وقد ذكر نسبة كاملاً فقال: «احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر بن حبيب بن حدير بن سالم مولى الامام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية من اهل قرطبة يكنى^(٢) ابا عمر^(٣)» واتي على شيء وجيد من تاريخه، ولكن فيه فوائد كثيرة.

وبلي ابن الفرضي الثعالبي ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ^(٤) (١٠٣٧-١٠٣٨ م) فلا يذكر في كتابه «تيسمة الدر» سوى شعره ويوسع له، من صفحة ٣٦٠ ج ١ الى صفحة ٣٦٤، ومن صفحة ٤١٢ بالجزم نفسه الى صفحة ٤٣٤، بحالاً لتدوينه. وتمتاز هذه المجموعة الشعرية بانها فريدة، اذ ليس بين ايدينا مجموعة لشيء من شعر ابن عبد ربه غيرها، وهي تضم اشعاراً لم يذكرها ابن عبد ربه في عقده. غير اني انخشي ان الثعالبي نظر اليه نظره الى رجلين قترجم للاول باسم احمد بن عبد ربه وذكر شعره من صفحة ٣٦٠ ج ١ الى صفحة ٣٦٤، وللثاني باسم احمد بن محمد بن عبد ربه وذكر شعره من صفحة ٤١٢ بالجزم. نفسه الى صفحة ٤٣٤. كما وان الثعالبي قد ذكر ابياتاً في صفحة ٣٥٧ ج ١ نسبها الى شاعر باسم حبيب بن احمد الاندلسي، وقد اوردها ابن عبد ربه في عقده منسوبةً لنفسه؛ ولعل حبيب بن احمد هذا مقلوبٌ عن احمد بن عبد ربه بن حبيب.

وبلي الثعالبي القيرواني ابو عبيد الله محمد بن شرف المتوفى سنة ٤٦٠ هـ^(٥) (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) فيذكر في رسالة له عنوانها «اعلام الكلام» كلمة وجيزة

(١) راجع بشأن سنة وفاته [The Encyclopaedia of Islâm, Moh. Ben Cheneb, vol. II, p. 375]

(٢) ابن الفرضي ١: ٢٧٠

(٣) في الاصل: يكتا

(٤) ابن خلكان ١: ٤١٢

(٥) راجع اعلام الكلام، طبعة الخانجي، مصر سنة ١٩٢٦

عن ابن عبد ربه فيها تصريح بدائع ابن عبد ربه للمروانيين ومطاعنه في الباسيين .
ثم يعقب القيرواني الوزير الفتح بن خاقان المتوفى حوالي سنة ٥٢٩ هـ^(١)
(١١٣٤ م) فيسرد في كتابه « مطمح الانفس ومرح التانس في ملح اهل
الاندلس » من صفحة ٥١ الى صفحة ٥٣ ترجمة ضافية لابن عبد ربه راعى فيها
الجمع ، وذكر بها اخباراً وقصصاً عن ابن عبد ربه لم يذكرها ابن الفرضي ،
ولم يذكر الفتح شيئاً عن نشأة ابن عبد ربه الاولى ، ولم يؤرخ ولادته ولا وقاته
ولم يذكر اصابته بالفالج ؛ مما يدل على انه لم يطلع على كتاب ابن الفرضي ،
بل استقى من رجل ذكره 'عرف بابن حزم ، وربما استقى من مصادر اخرى لم
يذكرها .

ويتبع ابن خاقان الضبي احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة المتوفى حوالي سنة
٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م)^(٢) فيذكر في كتابه « بنية المتسر في تاريخ رجال اهل
الاندلس » صفحة ١٣٧ الى صفحة ١٤٠ ، بعض الاخبار عن ابن عبد ربه وعن
عقده ، ينقلها عن رواية الحميدي ، وينقل بعض الاشجار عن ابن حزم . ويظهر
ان الضبي ايضاً لم يطلع على رواية ابن الفرضي .

ويلى الضبي ياقوت الرومي الحموي المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ^(٣) (١٢٢٨ م) فيذكر
في معجمه للادباء . « كتاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » ج ٢ صفحة ٦٧ ،
ترجمة لحياة ابن عبد ربه يتفق اكثرها بالحرف مع ما ذكره الضبي ؛ مما يدل
على احد امرين : اما ان يكون ياقوت قد اخذ عن الضبي ، او ان يكون
كلاهما قد استقيا من مصدر واحد ؛ لاسيما وقد ذكر كل منهما روايته
مسندة الى الحميدي . ويجوز ان يكون ياقوت قد اخذ عن مصدر غير الضبي
استقى صاحبه من الحميدي ، اذ ان ياقوتاً ارتكب اغلاطاً لم يرتكبها الحميدي

(١) راجع Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 82]
والفتح بن خاقان هذا هو غير الفتح بن خاقان صديق المتوكل والمقتول معه ، راجع
(٢) K.V. Zetterstéen, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 83] وراجع الفهرست ،
طبع اوربة ، ١١٧

(٣) C. F. Seybold, [The Encyclopaedia of Islâm, vol I, p. 884]

(٤) ابن خلكان ٣ : ٢١٨

وصحفت كلمات اصلها الناشر الأستاذ مرجليوث ، وحذف ابياتاً وعبارات اثبتها الناشر ايضاً عن الحميدي^(١) . ومن الخير ألا نجزم بمثل هذا الامر لاسيما ونحن لم نرَ النسخة التي خطها ياقوت بقلمه ، وليس لدينا نسخة من رواية الحميدي .

ويمتاز ياقوت بذكره بعض اخبار عن ابن عبد ربه وعن عقده لم يذكرها الضبي ، ولكن قد سبقه الى ذكر اكثرها الفتح بن خاقان . واملأ ياقوتاً قد نقلها عن الفتح هذا ، اذ انه قد اورد اكثرها كما اوردها الفتح بالحرف الواحد ، واسلوبها السجمي هو السلوب الفتح نفسه^(٢) . كذلك ترى المقاطيع الشربة متابهاً اكثرها على الترتيب الذي اورده الفتح .

وقد اتى بعد الفتح بن خاقان القاضي ابو العباس احمد الشهير بابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م)^(٣) . فترجم لابن عبد ربه في كتابه «وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان» ج ١ ص ٤٥ . فلم يزد على من تقدمه شيئاً . غير انه عند ذكره مطلع قصيدة ابن عبد ربه في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم احد ملوك الاندلس .

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس

فالطير فيها ساكن والوحش فيها قد انس ،

يذكر مصدراً استند اليه في خبرها هو كتاب «ادب الخواص» للوزير ابن المقرئ^(٤) . ولعل كتاب «ادب الخواص» قد ذكر شيئاً عن حياة ابن عبد ربه تنفعنا معرفته . انما لم نعتز على ذكر لهذا الكتاب في مختلف الموسوعات والكتب التي بين ايدينا . ولذلك فلا نستطيع معرفة موضع وجوده ان كان موجوداً الآن ، وبالتالي لا نعلم ما يمكن ان يكون قضته من الاخبار عن ابن عبد ربه .

وعقب ابن خلكان عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الشهير المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

(١) ياقوت ٢: ٦٧ و ٦٨ و ٦٩

(٢) ياقوت ٢: ٧١ ، وقابله بالفتح بن خاقان ص ٥٢ . وقد ترى في بعض المواضع ان ياقوتاً يفتك السجع غير انه يتعمل المبردات نفسها التي استعملها الفتح .

(٣) راجع [The Encyc. of Islam, vol. II, p. 396] C. Brockelmann,

(٤) ابن خلكان ١: ٤٦٥

(١٤٠٦ م) " فكتب في مقدمة كتابه « كتاب الصبر وديوان المبدأ والخبر » ، ص ٥١٠ ، بحثاً عن الموشحات والازجال في بلاد الاندلس ذكر فيه ابن عبد ربه ، صاحب القصد ، وكناه بكنية جديدة لا نعلم من اين اتى بها هي «ابو عبدالله» ؛ وذكر انه اخذ نظم الموشحات عن مخترعها مقدم بن ماطر . ولم يذكر شيئاً عن حياته ، ولا دون شيئاً من موشحاته التي زعم انه نظمها ، وانها كسدت بعمه . وتبع ابن خلدون الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٨٩١ (١٥٠٥) ^(١) . فذكر في كتابه «بنيمة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» ، ص ١٦١ ، شيئاً نسخه ، فيما زى ، عن ابن الفرضي .

وتلا السيوطي المقرئ ، بتشديد القاف ، احمد بن محمد المتوفى سنة ٨١٠٤١ (١٦٣١ م) ^(٢) . فكتب في كتابه « نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب » ، ج ٤ : ص ٦٢٨ ، فصلاً عن ابن عبد ربه غير انه كفانا مؤونة البحث عن مصدر اخباره في هذا الفصل فذكر لنا انه نقله بالحرف عن الفتح بن خاقان واورده في كتابه « نفع الطيب » نموذجاً من كتاب « مطمح الانفس » وطريقة ترجمة الفتح حياة الاشخاص . وذكر المقرئ اخباراً اخرى عن ابن عبد ربه لم يتصدأ احدٌ لذكرها قبله .

وتلا هو بلا جيباً حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٢ م) ^(٣) . فذكر في كتابه « كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون » ، ص ١٢٤ ، عقده ابن عبد ربه ونقل وصفه عن ابن خلكان . وذكر شيئاً عن ابن عبد ربه نقله عن ابن كثير ^(٤) لم نرَ احداً من المتقدمين عرض له ، الا وهو التشيع من ابن عبد ربه لآل البيت .

(١) راجع [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 395] Alfred Bel,

(٢) راجع [Die Geschichtschreiber der Araber, p. 229] F. Wüstenfeld,

(٣) F. Wüstenfeld, *op. cit.*, p. 266

(٤) [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 205] J. H. Nordtmann,

(٥) هو اتمام الحافظ عماد الدين ابو النذا اسيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٤ هـ .

صاحب كتاب « البداية والنهاية » في التاريخ (حاجي خليفة ج ١ : ١٨٧)

بقي لدينا طائفة يسيرة من الكتب التي ذكرت عرضاً اخباراً عن ابن عبد ربه صاحب المقد، عند تصديها لغيره؛ ككتاب «طبقات الامم» للقاضي صاعد ابن احمد بن صاعد الاندلسي المتوفى سنة ١٦٢ هـ (١٠٦٩ - ١٠٧٠ م)^(١) حيث زى ترجمة لابن اخي صاحب المقد فيها بعض الاخبار عن صاحب المقد نفسه^(٢). وكتاب «التكملة لكتاب الصلة» لابن ابار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)^(٣) وكتاب «عيون الانباء في طبقات الاطباء» لابن ابي اصيعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠ م)^(٤) حيث زى الاخبار نفسها منقولة، فيما نظن، عن ابن صاعد. اما «كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» لابن بسام فلم يطبع بعد، ولم نطلع على نسخة خطية منه. غير اننا اخذنا ما ذكره ابن بسام عن ابن عبد ربه من مصادر اخرى نقلته عنه «كنوز الوفيات» للصلاح الكتيبي، ومقدمة الدكتور ا. ر. نيكول في ترجمة «طوق الحمامة» لابن حزم. واورد ان اشير هنا الى ان ابن بسام، صاحب الذخيرة، هو غير ابن بسام الشاعر الذي عاش في المشرق في بغداد وغيرها وعاصر المتضد، وكتب اخبار ابن ابي ربيعة والاحوص ومناقضات الشراء^(٥). فقد مات هذا سنة ٣٠٢ او ٥٣٠٣ هـ^(٦). بينما صاحب الذخيرة قد ترجم لرجال عاشوا في القرن الخامس للهجرة^(٧). وامل لجنة نشر فهارس دار الكتب في القاهرة لم تلتفت الى هذا الامر في طبعتها الجديدة المتقنة لفهارس الدار^(٨).

وهناك كثير من الكتب المتأخرة والموسوعات سنضرب الآن عن ذكر جميعها صفحاً، اذ انها كلها لم تستقر من غير المصادر التي ذكرنا. وقليل من

(١) راجع كتاب «طبقات الامم» لابن صاعد، طبعة المطبعة الكاثوليكية لابلان. اليسوعيين، سنة ١٩١٢، ص ١

(٢) ص ٧٩ و ٦٤ حيث ترمي قصيدة لابن عبد ربه صاحب المقد فنرد ابن صاعد بذكرها

(٣) Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 353]

(٤) [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 357] في المقالة المهمة التوقيع

(٥) ابن خلكان ٥٠٦: ١ (٦) ابن خلكان ٥٠٣: ١

(٧) الكتيبي ٢٥٥ : ١

(٨) فهارس دار الكتب المصرية ١٥٦: ٣

اصحابها من اطلع على كل هذه المصادر ، ولطأنا نمرض لبعضها في حينه .
 اما شعره فنعرض له بمقال خاص . كذلك سنعرض لعقده بمقال آخر ، دون
 ان يفوتنا الاستشهاد بما ينفضنا في كل منهما من حيث علاقته بدرسنا عن حياته
 ونشأته وتواتره وميوله .

وسنذكر الآن اتماماً للفائدة جدولاً باسماء اهم المآخذ (قديماً وحديثاً) التي
 رجعنا اليها في درس ابن عبد ربه ، او في تحقيق شيء عن عقده او شعره ،
 مرتبةً حسب قدمية اصحابها وظهورها . وسنكتفي بعدئذ عند الرجوع اليها
 بذكر اصحابها على الشكل المختصر المدون امام كل مأخذ .

المآخذ

- الجاحظت : ابو عثمان عمرو بن بحر : التاج في اخلاق الملوك ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية
 بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) .
- الجاحظ م : المحاسن والاضداد ، لندن سنة ١٨٩٨ .
- ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : عيون الاخبار ، الطبعة الاولى ،
 مطبعة دار الكتب المصرية ، فرغ من طبعا سنة ١٩٣٠ .
- المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد الازدي : الكال ، ليترك سنة ١٨٧٤ .
- ابن عبد ربه : احمد بن محمد بن عبد ربه : العقد الفريد ، المطبعة الاميرية ، مصر سنة ١٢٩٣ هـ
 ابن النديم : محمد بن اسحق الوراق : الفهرست ، ليترك سنة ١٨٧١ .
- ابن الفريسي : عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي : تاريخ علماء الاندلس ، مجريط سنة ١٨٩٠ م
 التالي : ابو منصور عبدالله بن محمد بن اسميل الثعالبي التينابوري : بنية السدر في
 محاسن اهل العصر ، المطبعة الخفية بدمشق ، سنة ؟
- القيرواني : ابو عبدالله محمد بن شرف القيرواني : اعلام الكلام ، طبعة المسانجي ، مصر
 سنة ١٩٣٦ م .
- ابن صاعد : القاضي صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي : كتاب طبقات الامم ، بيروت سنة
 ١٩١٢ .
- ابن خاقان : الفتح بن خاقان الوزير الكاتب : مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح اهل
 الاندلس ، مطبعة الجوانب ، استنبول سنة ١٣٠٢ هـ
- الضيبي : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي : بنية المنسرف في تاريخ رجال اهل الاندلس ،
 مجريط سنة ١٨٨٤ م .
- ياقوت : الشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبدالله المدوي الرومي : ارشاد الارب الى
 معرفة الاديب ، مطبعة هندية ، مصر سنة ١٩٣٤ .

- ياقوت ب : معجم البلدان ، ليبرك سنة ٥٨٦٩ .
 ابن ابار : محمد بن عبدالله الفصاحي : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، مجريط سنة ١٨٨٦ م
 ابن ابي اصيبة : احمد بن القاسم الهدي المترجمي : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، المطبعة
 الرومية ، مصر سنة ١٢٩٩ .
 ابن خاكان : شمس الدين احمد بن محمد : رفيات الايمان وانباء ابناء الزمان ، مصر سنة
 ١٢٧٥ .
 الكتي : صلاح الدين محمد بن شاکر : فوات الوفيات ، مصر سنة ١٢٨٣ .
 ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة لكتاب المهر وديوان المتبدا والمهر ، بيروت
 سنة ١٨٧٩ م
 الابهي : الشيخ شهاب الدين : المستطرف من كل فن مستظرف ، بولاق سنة ١٢٧٢ هـ
 السيوطي : الحافظ جلال الدين الشافعي : بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مصر سنة
 ١٣٢٦ .
 المقري : احمد بن محمد المقري : فتح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المطبعة الميرية
 المصرية ، سنة ١٢٧٩ هـ
 حاجي خليفة : كاتب چلي : كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون ، طبعة الاستاذة سنة
 ١٣١٠ .

Geschichtschreiber der Araber etc , 1882 Wüstenfeld

Das arabische Strophengedicht , I *Das Muwaššah* , 1897 Hartmann

Geschichte der arabischen Litteratur , Berlin, 1902 Brockelmann

جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مصر سنة ١٩١٢ م .

Spanish Islam , translated by F. Griffin, Lon. 1913 Dozy

محمد شفيح : مقالته عن الحرمين كما وءةها ابن عبد ربه في كتاب «عجب نامه»

*A Volume of Oriental Studies presented to Edward G. Browne
 on his 60th Birthday* , edited by T. W. Arnold and Reynold A.
 Nickolson. Cambridge University Press, 1922.

A Literary History of the Arab , Lon. 1923 Nickolson

فؤاد افرام البستاني : الروائع عدد ٨ ج ١ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

سنة ١٩٢٧ .

Music in ancient Arabia and Spain . translated and abridged by E. Ribera

Hague and M. Leffingwell Stanford, Unversity Press, Califor-
 nia, 1929.

The Dove's Neck-ring , Paris, 1931 Nykl

وقد يجوز ان يرجع الى غير هذه المآخذ . وعند ذلك فستدون اسم المآخذ
كاملاً مشيرين الى موضع طبعه وزمنه .

٢

حياة ابن عبد ربه

قليل جداً هذا الذي بين ايدينا عن ابن عبد ربه . فلا هوّلا المؤرخون
ذكروا لنا شيئاً مفصلاً عن حياته في شبابه من حيث العمل الذي كان يعمله او
الوظيفة التي كان يشغلها ، ولا هم شرحوا لنا كيف قضى بقية عمره . وجلُّ ما
في الامر انهم اکتفوا بتاريخ ولادته ووفاته ، وبعض قصص ونوادير تكاد
تطلُّ على شيء من نواحي خلقه وطبعه ، و اشاروا الى شيء من حياة اللهو التي كان
يُميهاها دون ان يسهروا او يفصلوا او يملأوا ، و اضافوا الى اشارتهم هذه انه كان
للرجل ديانة و صيانة ، و انه آخر حياته اقلع عن لهوه و تاب عن غيّه ، ممّا لا يزيد
عمّاً نستطيع ان نفهمه من بعض اشعاره . و النريب انهم يكتفون عند هذا
الحدّ بحيث لا نرى اشارة الى سبب نهجه في شبابه منبهج اللهو ، ار الى كيف
انصرف الى الغزل ، و طريق ايّ الشعراء سلك ، و ما الذي رده عن سابق خطته
من اتباع سبيل اللهو و المبت و قرص الغزل بحيث تاب و اقلع عن صبوته و عمد
الى شعره في الغزل فتحصه و نقضه بغيره في المواعظ و الزهد .

خذ مثلاً ابن خلكان فانه يقول : « ان ابن عبد ربه كان من العلماء
المكثرين من المحفوظات و الاطلاع على اخبار الناس »^(١) . و لكن من اين
استقى تلك الاخبار ؟ و من اي الاشعار كانت تلك المحفوظات ؟ و اي الشعراء
احبّ ابن عبد ربه ؟ و خطة ايهم اقتفى ؟ تلك امور لم يتصدّ لها !

و كذلك كان شأن غير ابن خلكان من الذين كتبوا عن ابن عبد ربه ،
لا نستحي منهم سوى ابن الفرضي فقد تفرد بذكر بعض اساتذة درس عليهم
ابن عبد ربه منهم بقي بن مخلد ، و ابن وضّاح ، و الحشني^(٢) . و لولا ان ابن عبد ربه

ذكر لنا في عقده اسما كثير من المصادر التي رجع اليها ، وبعض الفقهاء الذين اخذ عنهم ؛ ولولا انه صور لنا شيئا من تزعاته وميوله وخلقه في كلا اثره : شهره وعقده ، لكان تاريخه اقرب الى الحفا . منه الى الظهور ؛ وانا لآرى في عقده وفي شهره ما يساعدنا على فهم كثير من الاور التي سر بها بعض المؤرخين او الادباء . مكثفين بالاشارة اليها .

نبه

هو ابو عمر^(١) احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير^(٢) بن سالم القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية^(٣) بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي^(٤) .
ولادته

ولد على الارجح في قرطبة^(٥) في شهر الصوم ، رمضان ، في العاشر منه سنة ٢٤٦ هـ^(٦) . وهو ما يوافق التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ٨٦٠ م^(٧) .
نشأته

لم يذكر احد شيئا عن ايام ابن عبد ربه الاولى ، ولا هو المع الى شيء من وصفها في عقده ، ولا نحن نعلم شيئا عن ابيه او جده او المحيط العائلي

(١) بعض المصادر تذكره بواو « ابو عمرو » وهو خطأ . وقد وردت هذه الكنية في شرح بذي امامصر لابن عبد ربه وجاء به :

يا عرس احمد اني مزعم سفرا فودعيني مرآ من ابي عمرا

راجع المفري ٢ : ٨٢٢ . ويستصدي لامر كنية ابن عبد ربه في موضع آخر .

(٢) ياقوت ٢ : ٦٧ يكتبها « حدر » . غير ان الناشر يصلحها في الماش بحدير ، تقلا عن الحبيدي . اما ابن خلكان ١ : ٤٥ فيكتبها « حدير » ثم يقول بضم الحاء ، وفي سائر المصادر - تراها « حدير » .

(٣) الضبي : ١٢٧

(٤) ابن الفرضي ١ : ٢٧

(٥) ليس بين المصادر الاولية التي بين ايدينا ما يبين موضع ولادته . فالبعض كابن الفرضي مثلا يذكر ان ابن عبد ربه من اهل قرطبة (١ : ٢٧) وابن خاقان يذكر حادثة جرت لابن عبد ربه في شبابه ، وهو في قرطبة ، والتريب ان Brockelmann يزم ان الولادة كانت في قرطبة راجع مقالته في [The Encyc. of Islam, vol. II, p. 351]

(٦) الضبي : ١٢٧

(٧) Brockelmann, [The Encyc. of Islam vol. II, p. 352]

الذي نشأ فيه . وجل ما نعلم هو ان والد جد جدّه ، « سالم القرطبي » ، كان مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وقد كان هشام بن عبد الرحمن اميراً بعد ابيه عبد الرحمن الداخل . ولكن هل استمرت عائلة سالم القرطبي في ولائها لآل هشام من بعده . ذلك امرٌ لا نعلمه . نشأ في قرطبة كما يستدلّ من بعض الاخبار المروية عنه^(١) . وقد كانت قرطبة في ذلك العصر من اعظم مدن الاندلس تشبه بغداد في كثير من الوجوه ، حتى قيل انها كاحد جانبي بغداد^(٢) . وكان فيها رصافة كرصافة بغداد^(٣) . وكانت عظيمة العمران ، ذكرها المقرئ في « نفع الطيب » فقال : « يحكى ان العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء . اتصلت الى كان يثى فيها بضم . السرج المتصلة عشرة ايام وفيها جبال الورد الذي صار اصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يتخونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشيلية فان لتقارب برية هنالك وتقطع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة اخرى وزيادة انس وكثرة امان من الفرق وفي جوانبه من الباتين والمروج ما زاده نضارةً وبهجة^(٤) .

وقال ابن حوقل التاجر الموصلى ، وكان قد طرقت تلك البلاد في حدود سنة ٣٥٠ : « واعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الابل وسعة الرقعة^(٥) »

وليس غريباً ان تكون قرطبة كما وصفها هولاء . فقد كانت عاصمة الامراء الاندلسيين من بني امية ، منذ زمن عبد الرحمن الداخل في منتصف القرن الثاني الى زمن عبد الرحمن الناصر ، الذي عاصره ابن عبد ربه ، والى ما بعد زمن الناصر .

وكان اهلها متمولين^(٦) . وكان فيها من ضروب اللهو والفناء ما يوافق حاضرة مثلاً . تقرب عنها قاضي الجماعة فيها ، فقال :

(٤) المقرئ ٢ : ٢٦٦

(٥) يا قوت ب ٤ : ٥١

(٦) = = =

(١) ابن الفرضي ١ : ٢٧

(٢) يا قوت ب ٤ : ٥١

(٣) يا قوت ب ٤ : ٥١

بلم ذكراي من ورق مفردة على قضيب بذات الجزع مياس
 رددن شجوا شجي «قلي الخلي قفل» في شجو ذي غربة ناه عن الناس
 ذكرته الزمن الماضي بقرطبة بين الاحبة في لمو وابناس
 هجن الصابة لولا همة شرفت فصيرت قلبه كالجندل القاسي . (٢)

وكان الفناء شائماً عند هؤلاء العرب الاندلسيين ، لاسيا في قرطبة حيث كانت تعد الجوارى المغنيات من مختلف الاقطار العربية ، من عهد زرياب المغربي ، موصلي الاندلس وصاحب السهم الاكبر في هذه الحركة الفنائية فيها ، الى عهد شاعرنا ابن عبد ربه الذي كان فيما سيظهر لنا من المولعين بسامعه . وكان بلاط الامراء مسرحاً لهؤلاء المغنين والمغنيات^(١) . وكسب تاريخ الاندلس ، من قديمة وحديثة ، مقصداً بالاجار عن هؤلاء وحياتهم في اندية الملوك والامراء وعن الاثر الذي تركوه في نفوس اهل ذلك الجيل وادبهم . وتتفق هذه الكتب في ان الامراء كانوا يتبارون في اقتناء الجوارى المغنيات ، كما يتبارون في استحضار الشراء الى بلاطهم . فيحيطون الجميع بمنائيتهم ورعايتهم ويشجعونهم وينفقون عليهم العطايا .

وكان ابن عبد ربه جده مولع بجمع هذا الفناء . ذكر الفتح بن خاقان ان الفناء الذي سمعه ابن عبد ربه وهو مارة تحت قصر احد الرؤساء بقرطبة اذهب اليه والهب قلبه^(٢) . وسرعان ما تناول رقمة كتب عليها الى صاحب القصر ياله الاذن في سماع المغنية :

يا من يضنُّ بصوت الطائر الفرد ما كنت احب هذا البخل في احد
 لو أن اسماع اهل الارض قاطبة اصفت الى الصوت لم ينقص ولم يزد
 فلا تضن على سمي تغلده صوتاً يجول بحال الروح في الجسد .
 اما النبيذ فاني لست اشربه ولست آتيك الا كسر في يدي (٥)

(١) كذا في الاصل ، والصواب : شجا

(٢) ياقوت ب ٥٩:٦

(٣) Ribera ، صفحة ١٠٩ ، يذكر انه كان عند الامير سيد بن جودي منية اسمها

جهان كانت ترغب في ان لا تحفي صوتها ، فكانت تشد من الفرقة العليا في المثل .

(٤) ابن خاقان : ٥١

(٥) ابن خاقان : ٥١

لدرستها كـ Farmer و Ribera ، تلازمُ الاصوات وحسن ايقاع الالخان ، اي المارموني (barmony) ، التي يتطامها بهض الفريين على المويقي الشرقية اليوم . بل اذهب الى ابعد من هذا فادون ما كتبه احدهما Ribera في مقدمة مجته الذي رفعه الى الاكاديمية الملكية في اسبانية قال : « وهكذا اصيحت اسبانية الفنية القديمة العروة الوسطى التي ربطت الفن القديم بالجديد » ثم يقول ايضاً : « ان اوربة اذا مدينة لهولاء الاندلسيين الذين حازوا هذا التراث في فن الموسيقى ونقلوه الى اوربة فظل مميئاً لا ينضب يوده الموسيقيون من اوربة دون ان يبحثوا عن مصادره . »^(١)

وكم اورد لو يفضى اليوم احد الموسيقيين الشرقيين ، الذين حازوا شيئاً من الثقافة العلمية والموا باليب البحث العلمي الحديثة ، بدرس هذه الناحية من الموسيقى العربية القديمة وتبيان آثارها في موسيقى العرب .

ولنعد الى ابن عبد ربه نسمع قوله في العقد ايضاً : « وبعد فهل خلق الله شيئاً اوقع بالقلوب واشد اختلاصاً للمقول من الصوت الحسن اذا كان من وجه حسن ؟ »^(٢)

ولعل في هذا القول ما يلائم المبانة التي رأيناها في قول الفتح بن خاقان عن ابن عبد ربه انه سمع صوتاً من القصر اذهب له والهب قلبه^(٣) . وخصص ابن عبد ربه كتاباً من عقده للالخان ، هو كتاب الياقوتة الثانية ، ذكر فيه كثيراً من الروايات التي احتج فيها الناس باجازه الفناء ، وذكر بهض الاحاديث المنسوبة الى النبي العربي التي تميز الفناء^(٤) . ورد على ادعاء من كره الفناء ، وذكر تأويلهم في ذلك آيات من القرآن فخطأهم في التأويل^(٥) ، ومضى محاولاً اظهار ان من كره الفناء انما كان كرهه له ككرهه بمضهم الملاذ من مطم ولباس وغيره ، لا على طريق التحريم ، واستمر يفند حججهم ويرد عليها .

(٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢

(٥) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢

(١) Ribera, p. 9

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٠

(٣) ابن خاقان : ٥١

فإذا ما ذكر قصة الحسن البصري مثلاً ، وقد تقدم إليه رجل يسأله عما يقول في التناه فيجيبه : « نعم المرن التناه على طاعة الله ! » ويعود الرجل فيقول : « أسألك عماذا تقول في ان يعني الرجل ؟ » فيقول البصري : « وكيف يعني ؟ » فيأخذ الرجل يلوي شذقيه وينفخ منخربيه . فيقول البصري : « ما ظننت ان عاقلاً يفعل هذا ! » ، اذا ما ذكر هذه القصة وهذا الجواب الذي قد يشتم منه كره البصري للتناه ، انبرى يقول ان البصري انكر على الرجل تشويه وجهه وتعميج فمه ليس الا^١ . وقد يسلّم ابن عبد ربه مع خصومه في هذا الامر في ان بعض الاية كانوا يكرهون التناه ، ولكنه يرد عليهم بان هذا مذهب المراق او ، كما يقول هو ، « اما هو من طريق اهل العراق »^٢ ويقول : « فان كانت الاحلان مكروهة فالقرآن والأذان احق بالتزويه عنها ، وان كانت غير مكروهة فالشمر احوج اليها . »^٣

وهكذا ترى ان ابن عبد ربه كان مولماً بهذا التناه مفرماً به يستلذه كثيراً ، لاسيما ان كان من وجه حسن - ويحيزه على مذهب اهل الحجاز ، وبالاخص اهل المدينة ، يقول : « ديننا في الساع دين مدينتي »^٤ . ولنا ان نظن انه كان يقضي قسماً من وقته لا بأس به في ساعه في المجالس التي كانت تتمد له ، لاسيما في بلاط الاسراء الذين كان يتردد عليهم .

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢

(٢) " " "

(٣) " " ٣ : ٢٢١

(٤) التالي ١ : ٢٦٣

(للبحث صلة)

